

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ

فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا.

15 تَمَوَّنَ: الْمُقَاوَمَةُ الَّتِي شَهِدَتْ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"¹.

إِخْوَانِي!

هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ تُخْبِرُنَا كَيْفَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَيْدِ بِيحْنُوهِ جَيْشِ الْمَسْلَمِينَ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ. وَلَكِنَّ وَعْدَ اللَّهِ هَذَا ظَلَّ يَتَحَقَّقُ فِي الْعَدِيدِ مِنْ نِقَاطِ الْإِنْعَاطِ الَّتِي حَصَلَتْ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ. فَقَدْ تَحَقَّقَ وَعْدُ اللَّهِ هَذَا، فِي مَعْرَكَةِ مَلَاذِكْرِدْ وَجَنَقِ قَلْعَةِ وَصَقَارِيَا وَدَوْمَلُوْبِينَارِ. وَشَهِدْنَا مِنْ جَدِيدٍ تَحَقَّقَ هَذَا الْوَعْدِ فِي 15 تَمَوَّنَ قَبْلَ عَامٍ مِنَ الْآنِ. فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ تَعَرَّضْنَا دَوْلَةً وَشَعْبًا لِمُحَاوَلَةِ احْتِلَالٍ وَحِيَاثَةٍ كَبِيرَةٍ. وَرَأَيْنَا مَرَّةً أُخْرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَنَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُظْلَمَةِ بِرَحْمَتِهِ وَنَصْرِهِ وَعِنَايَتِهِ. فَيَجِبُ عَلَيْنَا عِنْدَ إِحْيَاءِ الذِّكْرِ السَّنَوِيَّةِ لـ 15 تَمَوَّنَ

أَنْ لَا نَنْسَى عَلَى الْإِطْلَاقِ لُطْفَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعِنَايَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَنُصْرَتَهُ لَنَا. مَا يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ تَكَاتَفُوا لِتَخَطُّي هَذِهِ الْكَارِثَةِ الْكَبِيرَةِ هُوَ أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ وَنَحْمَدَهُ وَنُشْرِي عَلَيْهِ دَائِمًا أَبَدًا.

إِخْوَانِي الْكِرَامُ!

وَالْحَقِيقَةُ الْآخْرَى الَّتِي يَجِبُ أَنْ لَا نَنْسَاهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ هِيَ أَدْعِيَةٌ وَتَضَرُّعَاتُ إِخْوَانِنَا الْمَظْلُومِينَ وَالْمَخْرُومِينَ، الَّذِينَ عَلَّقُوا عَلَيْنَا آمَالَهُمْ، وَأَعْيَنُهُمْ تَفِيضُ دَمْعًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ. فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ شَاهَدْنَا الْمَظْلُومِينَ وَالْمَخْرُومِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ بَدَأًا مِنْ غَزْوَةِ وَوُصُولًا إِلَى سَرَايِفُو، وَمِنْ كَرْكُوكِ إِلَى الصُّومَالِ، وَمِنْ السُّودَانِ إِلَى الْبَاكِسْتَانِ، وَمِنْ سُهُولِ آسِيَةِ إِلَى أَقْصَى بِقَاعِ إِفْرِيْقِيَّةٍ؛ يَدْعُونَ اللَّهَ مِنْ أَجْلِ شَعْبِنَا. يَجِبُ أَنْ لَا نَنْسَى أَبَدًا إِخْوَانَنَا الَّذِينَ صَارُوا يَسْجُدُونَ وَيَبْكُونَ حَتَّى لَا تَسْقُطَ قَلْعَةُ الْإِسْلَامِ الْآخِرَةِ. فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَشْنَا جَمِيعًا مَعْنَى حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"².

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَكْرَامُ!

وَالْحَقِيقَةُ الْآخْرَى الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَبْقَى حَيَّةً فِي أَدْهَانِنَا هِيَ رُوحُ الْوَحْدَةِ وَالْإِتِّحَادِ وَالتَّضَامُنِ، الَّتِي أَبْدَاهَا شَعْبُنَا يَدًا بِيَدٍ مَعَ الدَّوْلَةِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، رِجَالًا وَنِسَاءً، صِغَارًا وَكِبَارًا. فَفِي 15 تَمَوَّنَ شَاهَدْنَا جَمِيعًا أَبْنَاءَ هَذَا الشَّعْبِ الْعَزِيزِ يَتَدَفَّقُونَ إِلَى الشُّوَارِعِ وَالْمِيَادِينِ اسْتِجَابَةً لِذَعْوَةِ رِجَالِ الدَّوْلَةِ، وَدِفَاعًا عَنِ الْوَطَنِ وَالْحُقُوقِ وَالْإِسْتِقْلَالِ وَإِرَادَةَ

الْحُرِّيَّةِ، وَفِي آذَانِهِمْ أَصْوَاتُ الصَّلَوَاتِ مِنَ الْمَادِنِ وَعَلَى أَلْسِنَتِهِمْ كَلِمَةُ التَّكْبِيرِ وَفِي قُلُوبِهِمْ رَغْبَةُ الشَّهَادَةِ. فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبْدَى شَعْبُنَا الْكَرِيمُ مَرَّةً أُخْرَى تِلْكَ الرُّوحَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي يَحْمِلُهَا نَشِيدُ الْاِسْتِقْلَالِ فِي هَذَا الْبَيْتَيْنِ: "عَجَباً أُمَّ مَعْتُوهُ يَضْرِبُ فِي يَدَيِ الْأَغْلَالِ / أَنَا مِثْلُ سَيْلٍ هَادِرٍ أَحْطَمُ الْقَيْدَ وَالْأَغْلَالَ". فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ تَوَضَّأَ شَبَابُنَا فَائِلِينَ "بِسْمِ اللَّهِ"، وَغَادَرُوا مَنَارِلَهُمْ مُرَدِّدِينَ "كَلِمَةَ الشَّهَادَةِ"، وَتَدَفَّقُوا إِلَى الْمِيَادِينِ وَعَلَى أَلْسِنَتِهِمْ "كَلِمَةَ التَّكْبِيرِ"، فَصَارُوا يُشَكِّلُونَ الْأَمَلَ الْأَكْبَرَ لِمُسْتَقْبَلِ شَعْبِنَا.

إخواني!

وَالْأَمْرُ الْآخَرُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَتَذَكَّرَهُ دَائِماً هُوَ الصَّلَوَاتُ الَّتِي ارْتَفَعَتْ مِنَ الْمَادِنِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، تُحَافِظُ عَلَى مَتَانَتِنَا وَتُحَرِّكُ فِينَا الْإِرَادَةَ الْمُشْتَرَكَةَ وَالرَّوْعَى الْمُشْتَرَكَةَ وَالِدِينَامِيكِيَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ. وَصَارَتِ الصَّلَوَاتُ تَشْهَدُ عَلَى قِيَامِ الْأُمَّةِ وَنَهَضَتِهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَاجْتَمَاعِهَا حَوْلَ الْقِيَمِ. فَالْقُوَّةُ الْكُبْرَى، الَّتِي جَعَلْتَنَا أُمَّةً وَأَخْرَجَتْنا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، هِيَ إِيْمَانُنَا الرَّاسِخُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَإِرَادَتُنَا فِي عَدَمِ الْخُنُوعِ وَالْاِسْتِسْلَامِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

هُنَاكَ حَقِيقَةٌ أُخْرَى يَجِبُ أَنْ لَا نَنْسَاهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَا نَجْعَلَهَا تَغِيْبُ عَنِ الْعُقُولِ أَبَدًا، أَلَا وَهِيَ أَنَّ مُحَاوَلَةَ الْاِحْتِلَالِ وَالْخِيَانَةَ الَّتِي تَعَرَّضْنَا لَهَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَصَلَتْ تَحْتَ كِسْوَةِ الدِّينِ. رَأَيْنَا فِي لَيْلَةٍ 15 تَمَّوْرَ أَنَّ شَبَكَةَ الْخِيَانَةِ تَظَاهَرَتْ بِأَنَّهَا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَاسْتَغْلَتْ عَقِيدَةَ

هَذِهِ الْأُمَّةِ وَقِيَمَهَا وَزَكَوَاتِهَا وَصَدَقَاتِهَا وَعَوَاطِفَهَا وَتَبَرُّعَاتِهَا عَلَى مَدَى 40 عَامًا، وَاسْتَهْدَفَتْ وَجُودَهَا. رَأَيْنَا حَرَكََةَ النِّفَاقِ الَّتِي سَرَقَتْ أَبْنَاءَ شَعْبِنَا، وَأَفْسَدَتْ أَجْيَالًا عِدَّةً؛ تَسْتَهْدِفُ بَقَاءَ بَلَدِنَا فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ آمَالِ الْمُحْتَلِّينَ. وَمُحَاوَلَةَ الْخِيَانَةِ هَذِهِ أَظْهَرَتْ أَنَّ الْوَطِيفَةَ الَّتِي تَقَعُ عَلَى عَاتِقِنَا هِيَ تَعَلُّمُ دِينِنَا الْحَنِيفِ مِنْ مَصَادِرِهِ الصَّحِيحَةِ، وَمُمَارَسَةُ الْإِسْلَامِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَسُنَّةِ رَسُولِنَا الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَعَدَمُ الْاِنْخِرَافِ عَنِ الطَّرِيقِ الْأَمِّ الَّذِي بَنَى الْحَضَارَاتِ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ، وَعَدَمُ بِنَاءِ حَقِيقَةٍ عَالِيَةٍ كَالَّذِينَ عَلَى أَوْزَارِ شَخْصِيَّاتٍ فَائِيَّةٍ، وَالْاَلْتِرَاطِ بِطَرِيقِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ حَتَّى لَا نَتَعَرَّضَ مَرَّةً أُخْرَى لِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْخِيَانَةِ، وَعَدَمُ الْخُنُوعِ وَالْخُضُوعِ لِحَرَكَاتِ الْفَسَادِ الَّتِي تُغَيِّرُ لُونَهَا تَبَعًا لِمَصَالِحِهَا.

إخواني!

وَأخيراً هُنَاكَ حَقِيقَةٌ أُخْرَى يَجِبُ أَنْ لَا نَنْسَاهَا أَلَا وَهِيَ أَنَّ نَذَكَّرَ دَائِماً الشُّهَدَاءَ، الَّذِينَ ضَحَّوْا بِأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ قِيَمِنَا، وَالْمُحَارِبِينَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ جُرُوحًا عَلَى أَجْسَادِهِمْ مِثْلَ مِيدَالِيَةِ الْاِسْتِقْلَالِ؛ بِالْمِنَّةِ وَالشُّكْرِانِ. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا، وَيَحْشُرَهُمْ مَعَ شُهَدَائِ بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَالْخَنْدَقِ وَمَلَاذِكِرْدٍ وَجَنْقِ قَلْعَةِ وَصَقَارِيَّةِ. أَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ الْأَجْرَ الْكَبِيرَ وَالشِّفَاءَ الْعَاجِلَ لِجَمِيعِ الْمُحَارِبِينَ وَأَنْ لَا نَحِيدَ عَنْ طَرِيقِهِمْ.

¹ المائدة، 11/5.

² البخاري، الصلاة، 88. مسلم، البر والصلة، 65.